مهد الأديان

العدد الرابع – 1989

الاخ الاستاذ الكاتب
سعيد خاكزاد الخفر
امين
١٣١٢/١٢/١٤

مجلة فصلية مصورة تعنى بالآثار والتراث

(اسست في الهند سنة ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م)
تصدر مرّة كل ثلاثة أشهر

صاحبها ورئيس تحريرها

محمد سعيد الطريحي

الاشتراك السنوي للافراد 30 $ وللمؤسسات 50 $

تطبع في بيروت وتوزع الى انحاء العالم :

ملتزم التوزيع : مؤسسة أيوب للتوزيع
شارع كليمنصو - بناية الأشقر - الطابق الأول
بيروت - لبنان ص.ب : ٦٣٩٣ / ١١٣
هاتف ٣٦٨٥٣٥ - ٣٦٨٥٣٨

كافة الاشتراكات ترسل إلى :

مجلة الموسم (محمد سعيد الطريحي) لبنان - بيروت - بنك ميكو (فرع شتورة) رقم الحساب : 07. 07. 01. 471659

تلكس رقم : 20729 Mebcgmle
Mawsem Magazne
MOHAMED SAEID TURAYHI
A/C No. 07. 07. 01. 471659
TELEX : 20729 Mebcgmle
MEBCO EAST BANKING Co. S. A. L.
CHTAURA BRANCH Lebanon

shiabooks.net

زين وزينب

في نظرية قراءة وتأمل

الدكتور أسعد علي

مدخل النظرية

القراءة : سكينةٌ ، وهذه طمأنينةٌ ترتاح اليها النفوسُ والقلوب ، وكأنها مأوى المشاعر القلقة الحائرة . .

بالقراءة ندخل بيت الهدوء والأمان فيكون دخولُنا : مُطهّر مما نأرق منه ، والأرق ، هنا : كناية عن المشاغل التي تتزاحم في تفكير الانسان ، فتطرد عنه طيور النوم . .

يتحدثون عصرياً : عن نظريات آداب وفلسفة وتاريخ وسياسة . . وأصل أصولها : القراءة ، فالقراءة : أم النظريات . .

لذا كان أمرُ الوحي الأول «إقرأ» . . وكانت المِنة على القلقين الخائفين الأرقين : بإنزال السكينة والأمَنَةِ النعاسِ عليهم ، كما في سُوَر : «الفتح ، والتَوبة ، والأنفال ، وآل عمران» . .

عندما قرأت القرآن استكانة : منحتني تلك القراءةُ تفسيراً جديداً من طبيعته ، وأخرجته للناس بعنوان : «تفسير القرآن المرتَّب منهج لليسر التربوي» . .

وعندما تعلقت بسكينة هذه القراءة : فهمت لماذا قال «زين العابدين»(ع) . . [لو مات من بين المشرق والمغرب : لما استوحشت ، بعد أن يكون معي القرآن] . .

ما نوع تلك السكينة التي كانت تؤنس علي بن الحسين: بعدما رأى أباه سيد الشهداء وإخوته وآل بيت رسول الله في كربلاء ، صرعى . .؟!

ما الذي كانت قراءته القرآنَ تهدئه به ، حتى قال لعمته «زينب»(ع) ما قاله في الكوفة ، وكانت تتكلم بالناس كلامها الشهير ، الذي منه : [ياأهل الكوفة . . ألا فلارقأت العبرة ،

ولا هدأت الزفرة . . أتبكون أخي . . أتدرون ويلكم أي كبد لمحمد (ﷺ) فرثتم . .؟ وأي عهد نكثتم؟! . .] . .

ما أشبه زينب في مواقفها بالعراق والشام ، بعد الحسين(ع) : بمواقف مريم العذراء في لبنان وفلسطين ، وبعد تسليم ابنها المسيح نفسه . . لو كان لزينب جارة تتحدث عنها : كما وعدت «سوسانُ الناصرية جارة مريم» . .

معذرة لمعلم الجاحظ عنوان كتابه «البيان والتبيين» . . أما يكفي قوله لزينب : «وأنت بحمد الله عالمة غير معلمة ، فهِمَةٌ غير مفهَّمةٍ» . . لعلنا بالدرس والشعر : نصل . .

- ١ -

في السابع من محرم (١٤١٠) : قرأت لجمهور «المحسنية» ، في دمشق ، عشرة أبيات من الشعر ، وهي التي سميتُها «زينٌ وزينب» . . وهذه الأبيات «الزينية أو الزينبية» : مركبة تركيباً رباعياً ذا خصوص في فن الأداء التاريخي ، وهي بذلك خمس رباعيات . . ثم أضفتُ رباعية سادسة ، هي البيان الثالث والرابع ، وهذه الرباعية المضافة : مُضافة من قولين للإمام الحسين(ع) . . ومن القولين أخذت اسم الحديث السابوعي ، أو محاضرة اليوم السابع من عاشوراء . .

- ٢ -

أقرِّبُ الآن «نظرية القراءة والتأمل» من هذه الرباعية المضافة ، والتي ركزتُ بها مفاتيح الحديث الذي اسمه : «الجمع والبناء في كلمات سيد الشهداء» . .

اللفظُ :

أشَرَ ، لُطفاً ، حقُّ فاطِنِه
وباقِرُ السيفِ : حَيٌّ عند قاطِنِه
إذا جمعتَ عليك النفس خادمةً
كان الوصولُ بناءً عن مدائنه . .

من كلمات الإمام الحسين(ع) عبارة تصحُّ منهجاً في قراءة القرآن وتدبُّر الأمر فيه . . وهذه العبارة ، مفادها «أن القرآن بُني على ألفاظ وإشارات ولطائف وحقائق . . الألفاظ : للعوامّ ـ أو العموم ـ ، والإشارات للخواص ، واللطائف للأولياء ، والحقائق للأنبياء» . .

إن هذه العبارة البارعة : تؤسس لقراءة شاملة ، متكاملة ، وتشفي بذلك صدور أهل الذوق الذين يرون وراء الألفاظ ما لا يراه الواقفون عند حدود الحرفية . . وقد شكا الجرجاني ـ صاحب دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة ـ من اولئك الواقفين عند حدود ما سمّاه «علم

اللغة» . . وحضَّ الهمم للبيان الأشرف . . لكنه في «دلائل الإعجاز» : لم يستطع أن يحدّد ما هو البيان الأشرف . . ولم يمتلك من «ليلى الإعجاز» إلّا ترداد اسمها اللطيف والشريف ، ومع ذلك فقد أثمر له ذلك شهرة باقية عند محبّي البيان واللغة جميعاً . .

- ٣ -

في العبارة الحسينية : منهج تفسير عادل . . وعدله دائريٌّ رباعي ، فالألفاظ للعموم . . وهذا اتساع يُشرِّف الألفاظ ، بل يجعلها منطلق البنيويين ومحطّهم في عصرنا الحديث . . حتى أوشك القولُ أن يؤكد تسمية العصر باسم «العصر البنيوي» . . والكتب الباحثة بهذه الكلمة في اللغات العالمية وفيرة . .

ولو أعطينا بُنيوياً عصرياً هذه الرباعية لأخذنا برحلة طويلة من التفصيلات الصوتية والبصرية . . يقدمها ويؤخرها . . ويتحدث عن اكتشاف العلائق بين الحروف في الكلمات ، وبين الكلمات في الجمل ، وبين الجمل في التركيب الكلي . . وبعد إقامة شبكاته البنيوية : يرحل رحلة صيده الطويلة وراء النَّسق الذي يُخبِّىء حوت المعنى . . وقد يكتشف في بطن الحوت «سر النبي المسبِّح يونس» . . وقد يُسيل دم الحوت فيصبغ البحر بدمهما معاً وهو لا يعرف ماذا فعل . .

إن تشقيقات البنيويين : متشعبة لدرجة يعرفها خبراؤها . . لكنهم ظلوا مع مرور القرون عند التخوم التي وصفها الجرجاني القديم لعلماء اللغة في مقدمة «دلائل الإعجاز» . . لذلك أتوسط بين هؤلاء وبين الإجماليين ، أي الذين يبالغون في التعميم المعميّ . . لأري ما أقرأ . . وكيف ؟ . . .

- ٤ -

الرباعية : أربعة أشطار . . في كل منها خمس كلمات . . وهذا الرقم : مفارقة اولى . . أهي متعمّدة . . لماذا ؟

والشطران : يشكلان بيتاً واحداً من الوزن الموسيقي البسيط ، الذي عليه نُظمت «بردة كعب . . ونهج البردة لشوقي . . ونهج البردة لهارون . .» وتكون الكلمات عشراً فيه . . وهذه مفارقة ثانية . . ما المغزى . . أهي عفو الخاطر جاءت ، أم لعاشوراء المحرَّم في ذلك حرية إلزام؟! . .

القوافي المتشابهة في الرباعية ثلاث : فاطنه . . قاطنه . . «دائنه» من كلمة مدائنه . . وهذا النظام الثلاثي في بناء الرباعية الموسيقي : هل يُوحي علاقة حميمة مع الإمام الثالث . . أليس الحسين(ع) ثالث الأئمة ، بعد أخيه الحسن المجتبى ، وبعد أبيهما الإمام المرتضى . .

والكلمات العشرون التي تشكل الرباعية : هل تضم شعوراً بالاتجاه الى المناسبة العشرينية التي من ولادتها وُلِد الحسين وإخوته وأخواته من بعد .؟ . . وأدع مجلس ادريس العشريني لذويه . . !

إن معرفة التاريخ : ضرورة لقراءة الشعر . . وفي كتابي «الانسان والتاريخ في شعر أبي تمام» أوضحتُ ممارسة نظريتي في قراءة الشعر التي تجمع بين «الانسان» ـ بما هو «عقل محض» كما يقول الفيلسوف الالماني الشهير ، عمانوئيل كانت ، [١٧٣٢ ـ ١٨٠٤] في كتابه «نقد العقل المحض» ـ وبين التاريخ ـ بما هو مهد الانسان وحاضن حركته ، كما يفهم من رائد التيارات المعاصرة في فلسفة التاريخ ، فلهلم دلتاي [١٨٣٣ ـ ١٩١١] ، في مجموع مؤلفاته :

[Der Junge Dilthey, P.124 Leipzig & Berlin, Teubner, 1933]

أربعة أشطار الرباعية : مثل الجهات الأربع ، تهب الأنسام أنساباً ، فإذا مرت النسمة من الشرق : عُرِفَت بالشرقية . . وكذا الغربية . . والشمالية . . والجنوبية . .

وفي الشطر الثالث : نلاحظ التفلت في القافية . . وقد رافقه تفلُّتٌ آخر من القرارِ الزمنيِّ الثابت بما جرى ، المتحوِّل بما يمكن أن يكون . . ولا بأس من التأمل الهادىء بكلمات هذا الشطر الخمس : «إذا جمعتَ عليك النفس خادمةً» . .

اسلوب الشرط : مستقبلي الزمان ، مُلزمٌ بخفض شرطه التالي له : ليكون الفتحُ أو الانتصابُ جزاءً تالياً لما تقدم من تأدية الخفض . .

ـ ٥ ـ

إعجازُ البيان : ثمارٌ للنحو ، كما يقول فقهاءُ البلاغة . . وفي «فقه اللغة العربية والحياة» : أجملت قوانين «البلاغة الممارسة في مدارس الإبداع» . . وهنا : أفتح النافذة الى سماءٍ عليا فتحها الحسين(ع) بكلماته في دعاء «عرفة» . . فقال :

«إلهي
إن التردد في الآثار
يُوجب بُعْدَ المزار
فاجمعني عليك
بخدمةٍ توصلني اليك» . .

إن الجمع على الله بالخدمة الموصلة الى الله : مسألة المسائل ، عند الإمام الشهيد(ع) . . لذلك كنتُ بحاجة الى متابعته سنوات وسنوات ، فيما سميته «جامعة الإمام الحسين» . . ونشرت بعض أجزائه مثل «مقدمة لمجتمع حقوق الانسان» . .

كلُّ الموجودات الكونية : آثار تدل الى مؤثِّرها ، أو موجدها ، فهي الآلاء التي لا يكذّبها ثقلا الإنس والجن . . «فبأي آلاء ربكما تكذبان؟» . . «سنفرغ لكم أيها الثقلان» . . !

لكن هذه الآثار الكونية ، من شمس وقمر ونجوم وهواء وماء : لا تكفي ولا تشفي لهفة عاشق كالحسين(ع) ، فهو يريد الوصول الى بديع الآثار ومجري الشمس والقمر : على استقامة صراطٍ ، وهذه الإرادة : تعلم الهمة والذوق ، لذلك اقتربت منها بكلمات الرباعية . . وجربت الانفتاح عليها بهذا الصوغ الذي سبك عليه البيت الأخير . . [إذا جمعتَ عليك النفس خادمة : كان الوصول . .] .

نلاحظ أن الكلمات السبع : مقتبسة من كلمات سيد الشهداء . . ومركبة تركيباً جديداً . . حوَّلها من النداء والأمر الى اسلوب الشرط الواثق . .

ونلاحظ أن الكلمات الثلاث المتممة للبيت . . (بناءً عن مدائنه] . . تذكر بعبارة اخرى في موقف آخر من مواقف سيد الشهداء ، وهي العبارة التي تقدمت الإشارة اليها . . [بُنِيَ القرآن على ألفاظٍ وإشارات ولطائف وحقائق] . .

في حديث عاشوراء المحسني : أجملت علائق القولين ، تقريباً لمنهج الحسين في الحياة ، فالذين يريدون الفهم أو الإفهام : عليهم أن يقتدوا هذا المنهج «الجمع أولاً . . ثمَّ البناء» . لأن الجمعَ على الله ، أي الالتزام بأوامر قرآنه ونواهيه : تجعل هذا المجموع خالصاً لله ، فاعلاً له وبه ـ وما رميتَ إذ رميت ولكن الله رمى . والرامي بأمر الله بمنجاةٍ من الخطأ ، وأكبرُ الخطأ : الأنانية المشركة ، وأعظم الصواب : الاخلاص الموحِّد ، الذي ينفي الأهواء ويعبد ربَّ كل الآثار وحدَه دون شركٍ له بهوى نفس أو تعلق بدنيا . .

نعودُ الى الرباعية المُضافة لاجتذاب كلمات الحسين(ع) الى التركيب الشعري . . ونعيد النظر في انسانها وتاريخها لنرى حضرات حضارية وراء الكلمات . . فهل نعود ونعيد وفق «نظرية القراءة والتأمل» ؟

سمعنا كثيراً بنظريات أدب ونقد . . وقلما توقّف المنظرون عند أمِّ النظريات ، التي هي «القراءة» أليس لذلك أُسِّسَ الاتصال العُلويُّ عليها «إقرأ باسم ربك الذي خلق. . .» . . ؟

القراءة : أم النظريات . . وكلما أحسن الاتصال بها : أنجبت نجائبَ النظريات ، وما أرسل الكلام إلا عن وقائع تجريبية قمت بها على مستويات ، مثل : القراءات «تفسير القرآن المرتَّب منهج لليسر التربوي» . . . ومثل : القراءات السبع التي أعطتني «في أضواء القرآن» . .

ومثل قراءات الحديث النبوي التي أنجبت لي «تفسير الحديث النبوي في دروس عصرية . . وفرح الصائمين والصائمات . . والإسلام كما بدأ . .» . . !

ومثل قراءات الشعر العربي في عصوره وعلائقه بآداب الأمم ومستويات الوصول والتوصيل . . ومن مواليد ذلك : الإبداع والنقد . . السبر الأدبي . . نظرية الأدب ومبادىء النقد . . فن المنتجب العاني وعرفانه . . معرفة الله والمكزون السنجاري . . القمر وطاغور وأنا . . معاناة عالمية في قصائد سويدية . . إيمان ماوتسي تونغ وتربية ستمائة مليون حكيم في شعر من الصين . . أما قراءات اللغة والبلاغة ، فقد أعطت مثل : «تهذيب المقدمة اللغوية» للعلايلي . . قصة القواعد . . أساسيات النحو . . اللغة والحياة . . مجتمع العرب وشخصيتهم في البلاغة . . صناعة الكتابة . . جذور العربية فروع الحياة . . ومقتضى الحال في علم المعاني . . ومن البداية كان الاسلوب الصحيح في البلاغة والعروض والنقد . .

هذه الأمثلة التجريبية لنظرية القراءة ، «ثمار شاهدة في حضارة التقدم» ـ وهذا عنوان تجربة اخرى في الحقل التربوي ـ ومثله : الطلاب وإنسان المستقبل المنقذ . . والشباب طاقة محركة خلاقة . . كيف توجَّه ؟ . . ومثل ذلك في حقول السياسة والتاريخ : البداوة المنقذة . . بواعث البعث . . . السياسة المقارنة وجيش الكلمة الطيبة . .

نواكب جيش التأمل في نظرية القراءة المجدِّدة للحركة الزينبية في التاريخ والشعر ، لو شئنا . . لكننا ملزمون بموسمٍ من مواسم كثيرة . . فقد سمينا هذا الموسم لمجلة «الموسم» : «زين وزينب في نظرية قراءة وتأمُّل» . .

ما أراه أن العنوان أوسع من وقتنا الراهن للكلام فيه ، لذلك نعيد الى الرباعية المضافة ، لنقرأ الرباعيات الخمس الاخرى ، وفق مفاتيحها ، ووجه من تلك القراءة : أظهرناه في قراءتنا لجمهور المحسنية ، عشية السابع من محرم (١٤١٠هـ) ، ويمكن الاصغاء اليه ، أو رؤيته ، أو هما معاً . .

ـ ٧ ـ

رباعية الجمع والبناء : تكتب بصورة تقليدية في بيتين :

اللفظ أشرَّ لطفاً حقَّ فاطِنِه وباقِرُ السيفِ حيٌّ عند قاطنه
إذا جمعتَ عليك النفس خادمةً كان الوصول بناءً عن مدائنه

الكلمات الأربع الاولى : تجتذبُ كلمات الحسين الأربع التي بني عليها القرآن الكريم ، ألفاظاً وإشارات ولطائف وحقائق . . ولا بد من التأمل المهذَّي في نظريتنا . .

الكلمات الست التي تلتها : تطبّق النظرية المربعة ، لأنها تطرح ألفاظاً مفهومة للعموم ، فالجميع يعرفون دلائل اولى الكلمات المستخدمة : «الفاطن : اسم فاعل من الفطنة ، وهي التنبه الذكي . . والقاطن : اسم فاعل من قطن ، بمعنى سكن واستقر . . والسيف : آله القوة المشهورة للناس . . والحي : الذي يحيا متمتعاً بحيوية استخدام حقه بالعيش . . والباقر : اسم فاعل من بقر ، وهو الذي يخترق بقوة كمن يبقر الصخر ليفجر منه الماء ، أو ليحوله الى مواد بناء . . وعند : ظرف مشترك بين الزمان والمكان ، ومعناه : التوقيت بالتاريخ المحايث ، مثلاً : عند هجرة رسول الله الى المدينة من مكة ظهر للإسلام إشراق جديد . . وجعل يوم هجرة بدء تاريخ نحدد به أيامنا ولياليا . . وعند ولادة المسيح : كان للعالم ما كان من محبة . . وصار ذلك اليوم مبدأ تاريخ نحدد به أيامنا ولياليا ، كذلك ، فالتاريخ الهجري : يراقب حركة القمر . . والتاريخ الميلادي : يراقب حركة الشمس . . وعند : ظرف مكان ، يعني امتلاكاً ما . . أو إحاطة بأمر ما . . كقولنا : عندي لكم مفاجأة سارّة وبشرى جديدة . . وعندي كتب قليلة بعد احتراق كثيرها ، أيام الحرب» . .

هذا مستوى الألفاظ متجهاً الى مستوى الإشارات مع كلمتي «باقر السيف» . . ماذا تعني كلمة «باقر» للخواص ؟! . . بل ماذا تعني للأولياء ؟ وهل وصلنا عن الأنبياء بها شيء؟ . .

الخواصُّ ، هنا : المثقفون ثقافة تاريخية ومعرفية ، فعارفو التاريخ : يتذكرون عبر الكلمة «باقر» الإمام الخامس محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب(ع) . . والمهتمون منهم بتاريخ آل بيت رسول الله (ﷺ) : يعرفون موقع الباقر التاريخي ودوره الاجتماعي ومنزلته الشخصية في ذلك الوقت . . فهو قطب رحى الاهتمام في تلك الأيام . . أما العارفون بالثقافة : فينقلون عن الإمام الباقر أخباراً كثيرة في الشريعة والفقه والأخلاق والآداب . . ومما نقله عنه الجاحظ في باب البيان من كتابه «البيان والتبيين» قوله) (جـ١ / ٨٤) «وقد جمع محمد بن علي بن الحسين صلاح شأن الدنيا بحذافيرها في كلمتين ، فقال :

[صلاح شأن جميع التعايش والتعاشر : مِلءُ مكيالٍ ؛ ثلثاه : فطنة ؛ وثلثه : تغافل] . .

«فلم يجعل لغير الفطنة نصيباً من الخير ، ولاحظّاً في الصلاح ، لأن الإنسان : لا يتغافل إلاّ عن شيء قد فطن له وعرفه» . .

وحكم الجاحظ على كلمتي الامام الباقر (ع) : له في نظرية القيمة من الآداب العالمية القديمة والحديثة أعماقٌ وآفاق ؛ لأن التعايش والتعاشر : مسألة الأسرة البشرية كلها ؛ فالتعاشر بين أفراد الأسرة : يقوم على الفطنة التي تحسب حساباً لكل شيء ؛ وتقدر الصغيرة والكبيرة في العلائق الأسرية ؛ وهذا التقدير والإحسان فيه : همُّ هموم التربية . . كما أن مسألة التعايش بين

الأسر الكبيرة ، أو أمم الأرض : تمثل هموم السياسة وقادة الحكم على وجه هذه الكرة ؛ وما لم تكن الفطنة النابهة المرِنة معياراً : فقد تكون الحروب وما تجرُّه ولائدَ الغفلة . .

في الصغيرة والكبيرة : لاصلاحَ بغير الفطنة ؛ وأجارنا الله من الغفلة بكل حجومِها ؛ يَقولُ العوامُّ : «الله يجيرنا من ساعة الغَفْلة» . . ونحن ندعو معهم ونقول : اللهم استجب يا مجير . .

والكلمات الباقرية : تحتمل مع التربية والسياسية أموراً في فقه البلاغة واللغة : ولأن أيَّ مقام : لا يستوعبُ كل طاقتها المعنوية ، رأيتُ إعطاء موسم من مواسمها في كل مقتضى . . وإذا أراد قراء «المواسم» أنواع مواسم أخرى : فليزوروا حقولاً أخرى ، مثل «السبر الأدبي» ؛ فالكتاب كله مقدّم لصاحب هاتين الكلمتين ، الإمام الباقر . . ومثل «جيش البلاغة ورسالة الكتابة» ، ملحق صناعة الكتابة بطبعتها السادسة . . ومثل «رسالة الإعجاز والايجاز» في ختام «علم المعاني ومقتضى الحال» . .

حكم الجاحظ الوجيز : فهم شمول «الخير والصلاح في الفطنة الباقرية» ؛ ولا تزال نظريات القيمة في مثل «مبادىء النقد لرتشارز ،وفي مثل محاورات أفلاطون في الجمهورية :تدور حول هذه الكعبة المعرفية المستقبلة كل الجهات . .

والجهات الباقرية : خمس كلمات «وباقر السيف حي عند قاطنه» . . وسبقتها الكلمة البرزخية «فاطنه» ، أعني الكلمة الرابطة بين صاحب الكلماتِ الأربع «البنائية» وبين صاحب الكلمات «الفطنية» . . والإشارة إلى العدد : تهدف إلى إحاطة القانون الباقري وصلاحه لِست جهات الوجود ، بأي حقل من حقوله ؛ فلا مفرَّ من الفطنة في شؤون الصلاح الفردي والجماعي ؛ لأنه لا صلاح ولا خير بغير الفطنة . . فما هي الفطنة . .؟ وهل فطن خواصُّ الأذكياء وعباقرة الأولياء إلى نظرية القيمة التي أودعها الباقر محيطةً بكلمات بسيطة . .؟!

يقول عبد الله بن عطا المكي :

«ما رأيتُ العلماء عند أحد قط : أصغر منهم ، عند أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين (ع) . . ولقد رأيتَ الحكم بن عتبة مع جلالته في القوم بين يديه : كأنه صبيٌّ بين يدي معلِّمه . . وكان جابر بن يزيد الجعفي اذا روى عنه شيئاً يقول : حدثني وصي الأوصياء ووارث علوم الأنبياء ، محمد بن علي بن الحسين . . (صلواتُ الله عليهم) . .

إن الخواصَّ في خدمة العموم . . وإن الأولياء على استعدادٍ لإرشاد الخواصِّ والجمهور معاً . . وإن الأنبياء : رحمة للكافة ، كما جاء في وصف خاتم الأنبياء (ﷺ) . . بل هم لخدمة الخطأة ، كما جاء في كلمات المسيح (ع) . . .

نظرية القراءة والتأمل : تبوِّب وترتِّب للتوصيل . . ولا تعني التفاضل أو التطاولَ ؛ وصاحب منهج الفطنة الباقرية : يؤكِّد منهج جدِّه الحسين (ع) بصورة موقفية مرشدة . .

«قال له نصراني : أنت بقر . .

قال : لا . . أنا باقر . .

قال : أنت ابن الطباخة . .

قال : ذاك حرفتها . .

قال : أنت ابن السوداء الزنجية البذية . . [البذاء : الفحش والسفاهة] . .

قال : إن كنت صدقتَ . . غفر الله لها . .

وإن كنت كذبتَ . . غفر الله لك . .

قيل : فأسلم النصراني . . . (الأنوار البهية : ١٢٣) . .

- ٨ -

إن التفكير بأقوال الباقر ومواقفه : ينقل المفكر إلى مثل العجَبِ ؛ بل يجعله في حال تقتضي مثل هذا التصريح الإعجازي الذي جعل الإمام الموسوي يقول بالعجز عن معرفة هذه الشخصية الباقرية التي تبعث افتخار من ينتمي إليها . . والصيغة الموسوية لم تأتِ مبكِّرةً ، بل أودعها وصيتَه ، أي بعد كل محاولةِ تعرُّفٍ إلى شخصية الباقر ، قال :

«نحن نقر بأن باقِرُ العلوم ؛ وهو أعظمُ شخصية تاريخية ؛ ما عرفها . . ولا يستطيع معرفتها : إلا الله ، سبحانه وتعالى ، ورسولهُ (ص) ، والأئمة المعصومون» (ع) . . . (ص/٨) . .

كيف توصل شارح «الأسماء الحسنى في مصباح الهداية الى الخلافة والولاية» إلى هذا الحكم على شخصية الباقر التأريخية ؟

الله أعلم . . لكن المتتبع للحركة الباقرية : يفطن لموقعه بين علمين آخرين من أعلام الأئمة ؛ الأب علي بن الحسين ، المشهور بالسجَّاد ، أو زين العابدين ؛ والابن جعفر بن محمد ، المشهور بلقبه الصَّادق ؛ فالأب والابن : تركا للتراث العربي والإنساني ما هو معلوم لدى العموم والخصوص ؛ فأدعية زين العابدين تعرف بزبور آل محمد ؛ وله رسالة الحقوق التي تذكر بها محاولات الأمم المتحدة لضبط التعامل بالحقوق على نحو من الأنحاء . .

إذا كان التأثيرُ معياراً للحكم على الشخصيات التاريخية ، كما رأى ما يكل هارت في تقديمه لأعظم «المائة الأوائل» الذين أثروا بالحياة على كوكب الأرض : فأنَّ أولهم ، أي جدُّ الباقر يقول بالباقر :

مرکز تحقیقات کامپیوتری دارالحدیث

«إذا مضى الحسين : قام بالأمر ، بعد ، عليٌّ ابنه ، وهو الحجَّةُ والإمام ؛ ويخرج الله من صلب علي ولداً : سميِّي ؛ وأشبه الناس بي ؛ علمه علمي ؛ وحكمه حكمي ؛ وهو الإمام والحجة بعد أبيه » . .

هذا الكلام لأعظم شخصية شرفت كوكب الأرض ، كما يقول عالم الفلك الأمريكي . .

فهل يستدل من هذه التشابكات على شيء للنظرية ؟

إنْباءُ رسول الله (ﷺ) بمنزلة الباقر من الحقائق ؛ فقد بدأنا من أركان النظرية الأربعة : ألفاظ العموم ؛ إشارات الخواص ؛ لطائف الأولياء ؛ حقائق الأنبياء . .

شخصية يَصنعها خاتَمُ النبيين وأعظم المؤثرين بهذا الكوكب : هذا الوصف . . لهي كذلك أعظم شخصية تاريخية ؛ لأنها مطابقة لشخصيته الأعظم : شَبهاً ، وعلماً ، وحكماً . .

المشابهة لرسول الله (ﷺ) هبة الله الذي جعل الإنسان في أحسن تقويم ؛ وذلك كمال التكوين . .

والالتزام بعلم النبي (ص) قدرة استيعاب نظري ، لا يعرف أحَدٌ كيف تكون ؛ وقد قال الإمام الباقر ما يوضح جوانب من هذا العلم الغزير الذي لا يحاط به ؛ ومن قوله ذاك :

«لو وجدت لعلمي حملةً : لنشرت التوحيد ، والإسلام ، والدين ، والشرائع من الصمد . . وكيف لي . .؟ . . ولم يجد جدي أمير المؤمنين (ع) حملَةً لعلمه ؟! . . (أنوار/١١٦) . .

والالتزام بحكم النبي (ص) قدرة تطبيق ومعاملة واجتهاد في الكمال الذي يَراه : «تفقها في الدين . . وصبراً على النائبة . . وتقديراً للمعيشة» . . وهذه الأعمال الثلاثة من أعمالِ الحكم النبوي . . ومثلها الأعمال الأشد ، التي قال عنها : «مواساة الإخوان في المال ؛ وانصاف الناس من النفس ؛ وذكر الله على كل حال» . . (أنوار/١٢٢) . .

رُبِّيَ الباقر مع أبيه . . ويقول محمد بن المنكدر : ما كنت أرى أن مثل علي بن الحسين(ع) يدع خلفاً ؛ لفضله الواسع . . حتى رأيت ابنه محمد بن علي (ع) . . فأردت أن أعظه : فوعظني» . . (١٢١) .

وعلى ما رُبِّي : ربَّى ابنه جعفر بن محمد الصادق . . فكان إمام أئمة المذاهب جميعاً . . وترك لنا «مصباح الشريعة» . . وبحراً من فقه عميق واسع . . . ومحبو السباحة : أحرار في الدخول إلى هذا البحر من أي شاطىء من الشواطىء المئة ، التي تضيئها أبوابُ «مصباح الشريعة» المئة . . وفي كتابنا الجامعي «علم المعاني ومقتضى الحال» تمرينات على «القراءة والتأمل»

في «رسالة الإعجاز والإيجاز» ؛ فهي لنظريتنا في القراءة : مرآة . . [ص/٥٩٣-٦٧١] .

- ١٠ -

إن «نظرية القراءة والتأمل» : عنوان له ممارساتٌ في حقوق جامعية ومجتمعية ؛ولنظهر الأهمَّ في «مناهج هذه القراءة ومباهجها» : تعلقنا هنا بكلمة «الباقر» من «الرباعية المضافة» . . وهذا التعلق : وضعنا في مثل أرجوحةٍ بين أبي الباقر وابنه ؛ بين زين العابدين وجعفر الصادق؛ بين الدعاء والشريعة . . وأقول هنا ثانية : لأن «هناك» ما هو أوسع مدىً لهذه الرياضة التأملية في آثار إمام الدعاء وإمام المذهب . .

منهج الدعاء : اتجاه إلى الأعلى ؛ هو «جدل صاعد» ، بالتعبير الفلسفي . . هو صعود بالواقع نحو مثاله . .

منهج التشريع : استنزال من الأعلى ؛ هو «جدل النزول» ، فلسفياً . . هو اجتهاد لإحلال مبادىء الوحي في السعي المعاش . .

وهذان المنهجان : اجتذبتهما كلمة «الباقر» من «الزينية» الأبوية . . ومن «الصادقية» النَبَوية . . لذلك أحيل إلى أربعة حقول «نظرية القراءة والتأمل» ؛ وأربعتها : حقول تربية ممارسته ، وهي : علم المعاني ومقتضى الحال ؛ السير الأدبي ؛ صناعة الكتابة ؛ مبادىء النقد ونظرية الأدب ؛ . . فقد ختمت الكتب الأربعة بفصولٍ تطالعُ طلابَ الجامعات : بمناهج الأئمة وبلاغة التحقق العربي والإسلامي والعالميّ بالنسبة لتلك القِمَم . . وسوف يقول لهم فيلسوف الشرق محمد إقبال في ديوانه «خفق جناح جبريل» : «قمةُ الوعي والحب : أن تسلك سلوك حيدر» . .

«صناعة الكتابة ؛ ط ٦/٥٧٩» . .

- ١١ -

نكتفي من عرض النظرية بهذا المقدار من الإثارة العملية ، ومن الارشاد النظري إلى حقول التربية الممارسة عليها . .

ونعود إلى «زين وزينب» : نلتمسُ أطياب «ملكة الغابات» ؛ والغابات : كتاب ثانٍ من كتب «سعادة الوعي» ، جاء بعد كتاب «الأشجار» ؛ وفيه ثلاثون حلقة مقدَّمة للسيدة زينب : كما قُدِّمت حلقات «الأشجار» إلى «الجدة السعيدة ، خالدة ابنة زين العابدين» . .

إن هذا العنوان «زين وزينب» : موضوع لمجموعة من القصائد ، شديدة الخصوص ، ذكر بها زين العابدين وعمته زينب . . وهنا : أقدم نماذج منها لم أشر إليها مِن قبل . . وهذا

لا يعني أنها لا تذكر بالنماذج المنشورة أو المشارة إليها بمستويات مختلفة ، كالقول في قصيدة على غلاف الجزء الأول من جامعة الحسين ؛

يحتـاج زينُ العـابـدين لعـمَّـةٍ تـرعى اليتـامى والتشتتُ زاحفُ . .

الفرق بين هذين النوعين : تظهره «نظرية قراءة وتأمل» ؛ لأن ما سيُذكر اليومَ من نماذج الخصوص الإشاري عدا القصيدة ذات الرباعيات الخمس «زين وزينب» فقد ركبت تركيباً جماهيرياً عموماً . .

ولا بأس من ملاحظة تاريخ القصائد : فقد يكون منبِّهاً إلى ذكرى عامة ، مثل التاسع عشر من رمضان والواحد والعشرين منه . . فماذا يعنينا منهما ؟ . . هل كان لأبي الحوراء فيهما ما يستوقفنا . . ؟

إن القصيدة الأولى «عيون باصرات» : كتبت في الأول منهما . .

وإن القصيدة الثانية «كمثل زينب» : كتبت في ثانيهما . .

وإن القصيدة الثالثة «زين وزينب» : كتبت ١٤١٠/١/٧ . .

وإن القصيدة الرابعة «أكمل وحدة» : كتبت ١٤١٠/١/١٣ . .

أما الثمانيتان «خاضراء الغيوب وزاهراء الشروق» : فكتبتا ١٤٠٩/٧/٥ .

والرباعيتان «ليل . . و : خطو» : فكتبتا بتاريخ ١٤٠٩/٩/١٨ .

وبتاريخهما ذاته : كتبت الثلاثية «حضور» . .

فماذا يعطي ذلك لنظرية القراءة والتأمل ؟!!

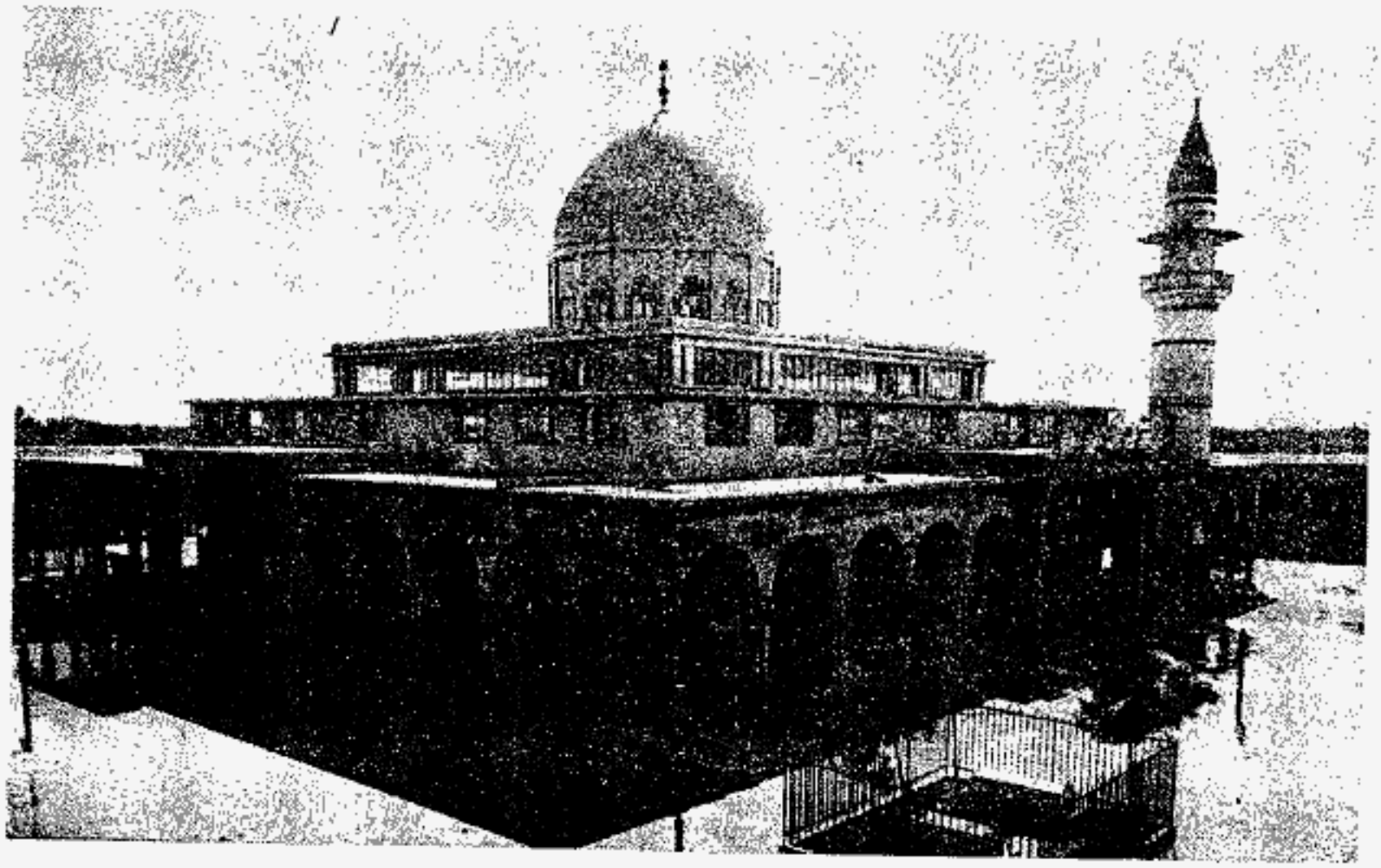

١٢ ـ تسع مختاراتِ زينبيةٍ :

١ ـ عيون باصرات :

أوسِّعُ تمديدي بكلِّ هواهمُ
لكي أجمعَ المحبوبَ وحدي
وفي الكلِ
أيقبلُ غيرانُ الوفاء مشاركاً ..
وحالُكَ حالي في التسرُّع والمهلِ ؟
رأيتُ جمالاً من بنفسج قامةٍ
صنوبرةُ الفتاحِ في أكرم النخل
أتضحكُ ياذا القرنين ..
مِن قَفْل عاشقٍ
تخبَّأ عن ذات الشذى
خائفاً ... مِثلي
وأنتَ مَلاكُ الوحي ..
تُضمِرُ مثلَه ..؟
ويهمس للخِضْرِ الملثَّم ذو الكِفلِ ..
أليس حديثُ الغائرين
حدائقي
وأعجَبُ ما ألقى التغايُرَ من طفلي
وعندي عيون باصرات تعدَّدت
فكيف أُري حسنَ الحبيبة للظلِّ ؟
أأكشف عنها والجيوش بخاطري ؟.
معاذ الرضى والحبِّ
ياسورة النمل .

على مَسِّ أجفان الخواطِرِ
نلتقي
وبلقيسُ في الحوراء
أعذبُ ما أغلي
عجائبُ صَومي والصيام وخلوتي
جلابيبُ إخلاصٍ تبلَّجَ للأهل
هَلا .. مرحباً ..
رحبُ المحبِّ محبَّرٌ
حبورُكِ بالألوانِ فرعٌ على أصلِ
وما مَرَّ يحبو مِن عطائكَ جِدَّةً
وبالحالين
يكسوني التفضلَ
ذو الفضل ...
فأُبصِرُ موسيقى الفصول
بزينبٍ
ستنشرُ غاباتِ الغيوبِ
رُؤى الوصل
١٩ ـ رمضان ١٤٠٩

٢ ـ كمثل زينب

ماذا جرى . . ما الذي تحتاج يا ولدي . . في مـدينٍ كلُّ مـا ترجـوه من أحَـدِ
أُعطي الصبا والعصا فارْعَ الوفا أبداً تؤنسُكَ نارٌ تجلَّتْ مِن سنا الصَّمَدِ
تجري الـدمـوعُ ثلوجاً من لآلئها يعقوبُ عيني وشمعونُ الصفـاءِ يدي
بقيـةُ الله في أحضـان نـرجسهـا ونـرجسٌ ميْسِـبِّي نهره الـغَـرِدِ
يا نوح يا شيث يا إدريس صالِحِها يا هودُ يا يحيى يا هارون يا عضدي
مُحَـمَّـلٌ بـوعـودٍ «غنْـجُ» قِـمتهـا أنَّـاتُ مقتـصـدٍ مِن صـبر مجتهـدِ
وكـاظِـمٌ فيَّ «بـرمـودا» مسرمـدة يـاربّ عـونَـك تَمّْ مـوعـدي وغـدي
أوشكت يصحبني مِن صـاحبي قَلَقٌ عِـزريـلُ بَـرٌّ وعـهـدي واسـعُ المُـدَدِ
الـنهـجُ والشَّـفـةُ العـليـا ألـسـنُهـا مع الأنام . . . وماذا بعدُ يا ولدي . . ؟

ما النيةُ التقـةُ الزهـراء تكرزهـا مُعَبَّئاً مِن هداها الكونَ بالرَّغَدِ
ألم يَقُلْ لكَ عيسى عن مؤكّـدهـا بمرتضاك وبـاقي الصحب في البَلَدِ
يا شيخُ صبرَك والذكرى مؤانسةٌ ومَن بعينـك لا تنسـاه من رمَـد
لـك الزمـان بصـاحٍ في هنيهتـه مهدُ الخلودِ . . ووعدي أين . . يا مددي . . !
كمثـل زينبَ فـانهض في مصـابـرةٍ تـردي الـعـدوَّ وتـعـلي رايـة الأحـد
إعـلامُـهـا دِيَمٌ دامـت مـواسمُـهـا مع الرياح بأرواح الفصول هُدي . .

١٤٠٩/٩/٢١

٣ ـ زين وزينب

قالوا : «نَمـوُت» .. فسالَتْ مِن موازنِهِ :
«إني نَمَـوْتُ بمـوسـيـقـى مـآذنِـهِ» ..
زيـنٌ وزيـنـبُ والـرأسُ الشريف قـوىً
تَـرقـى رُقَـيَّـةُ أدنـاهـا لـضـامـنـه
الـلفظُ : أشرَ لُـطفـاً حـقُّ فـاطِـنـة
وبـاقِـرُ الـسيف حيٌّ عـنـد قـاطـنـه
إذا جمـعـت عـلـيـك الـنـفس خـادمـةً
كـان الـوصـولُ بنـاءً عـن مـدائـنـه
أخـو الحـسـينِ مُغـاثٌ في جـنـائـنـه
وفي الـرمـال فـداه ذِبـحُ دائـنـه
فـمـن رأى زهـر الـزهـراء ذا نـسَـبٍ
الى الـتراب .. وذا خَـتْمٍ لـصـائـنـه
سـار الحـسـينُ بـرأسٍ من محـاسـنـه
مـرَّ الـسَّحـابُ وألـقى مِـن معـادِنـه
هـذا الـترابُ أخـوه صـاح ظـامِئـهُ
فـغـائـه دمُـه الـزاكـي بهـاتِـنِـه
لِمَ الـبـلاءُ لأهـل الله أثـقـلُه..؟
هـو الـبقـاءُ بـنـعـمى في محـاضِـنـه
عـزَّى المُصـابـين مهـديٌّ بـنـسـبـتـه
بـأسُ الحـسـينِ .. وحـنَّـانٌ بـبـاطـنـه
بـاكٍ .. سـمعـتَ إبـائي في مـواطِـنِـه
عـلى الـسـجـيَّـة مـيـزاني لـوازنـه
أسرارُ كـلِّ سرورٍ أو مُحـزنـةٍ
بحـارُهـا بـادئـاتٌ من خـزائـنـه ..
(٧ محرم ١٤١٠)

٤ ـ أكمل وحدة

إذا هـزَّتِ الـعـذراءُ جـذعـاً لـنـخـلةِ
بهمسِ يسوعٍ .. هل تَبيحين همستي ..؟
مـع الشمس تجلو ربَّةُ البيضِ بـدرَهـا
بـليـلةِ قـدرٍ لـغـزُهـا السرُّ فـاصـمـتِ
أتـسـتبـقُ الخـيراتِ «نهجـاً» و«زيـنـبـاً» ؟
إذا جاء نصرُ الله بالفتـح .. فـاثبتِ..
تـوهَّـجَ بي المعنى المـقيـمُ بكـربـلا
فـدلَّـل بـالـتـجـويـد آلاءَ نـيَّـتي..
إذا كـان عـاشـورءُ ثُـلْثَ محـرَّمٍ
وعـشـرتَـه الأولى ففي البـدءِ هـجـرتي
وذاكَ لـزيـنِ الـعـابـديـن وزيـنَـبٍ
مـواسِـمُ شـلالِ الـرؤى والـبـصـيـرةِ
لَـزجـتُ دمـوعـي بـالشروقِ تَـطلُّعـاً
الى ربَّـةِ الـتـاريـخ والبـيـتِ : فـطرتي
وقـامَ جـمـالُ هـاتـفـاً بـاسـم حـافِظٍ
يُـدبِّـر خـيرَ الـعـالـمين .. بـحـكـمـةِ
تـوسَّـلَ شـيـتٌ .. وابـنُ آدمَ مِـنـحـةً
تـمـيـدُ الى هـابـيـلَ خـالـدَ حـضـرةِ
وراسَـلَ يعقـوبُ وشـمـونُ بـالـشَـذى
لـنـرجسِ مـهـدي الـزمـان المـوقَّـتِ
مـدامِـعُ أحـلامِ الأصـول وقـائِـعٌ
شرائِـعُـهـا الأنـسـابُ في خـير أمَّـةِ
صـبـاحُـكِ والإشراقُ بلقـيسُ نَـخـوةٍ
تـلبِّـي بـحـول الله آصـفَ دعـوةِ
ويَـرجـو سـلـيـمـانُ الجـليـلُ تـشـكُّـراً
ويَـغـمـرُ بـالحـسـنى الجـمـيـلَ بـنـشـوةِ

وتـقـوايَ رمـزٌ لا يُـبـاحُ ومُـلـتـقـى
تـعـيش بـه الأضـدادُ أكـمـلَ وحـدةِ
ونـقـرأ عـزرائـيـلَ مَـبـنىً مُجـدَّداً
«أزارَ عـليٌّ» .. بَـرْقَ قَـبْرٍ؟... تـلفتي
تـفـلَّت مـني لـلرِّيـاحِ نـصـيـبُـهـا
مِن المسـك فـالْحَقْ .. بـالسَّمـاك هـديتي
يـدُ الله هـدْيٌ والـيـدانِ نـداؤه
وكـعـبـةُ ذي فِـضْـحٍ تجيـبُ بمـكـةِ
عـجـائـبُ قـدُّوسي ـ الـنَّصـير طـيـورُه
بـلابِـلُ جـنـاتٍ ونـحـلُ خـليَّـة
مِـنَ الـعَـسَـل الصَّـافي يُصفِّي جهـاده
مُـعـلِّم آيـاتٍ وبـاكٍ بـبـكَّـةِ
تـركـتُ لهـا عـيـنيَّ والـنـومَ والـرؤى
فمَنَّ المنى .. ذو الفضـلِ : هزَّ نخلتي
(١٤١٠/١/١٣)

٥ ـ خاضراء الغيوب

أنـتَ أسخى .. وأنتَ أصـفى مـيـاهـا
كـيف أجـلوكَ يـا حبيـبُ انـتـبـاهـا..؟
ربَّمـا شئـتَ مـا تـشـاءُ حـبـيـبـي
كـلُّ نـبضٍ يقـول : يـا ربُّ آهـا ..
ذاك طـهـري وطـيـبُ الـطـيـوبِ
أنـتَ أنسي الأنـيسُ كـلَّ الـدروب
فـاتِـحٌ .. نصرُك المـبـينُ، أبـاهـا ..
وهـي الحـبُّ خـاضراء الـغـيـوبِ

٦ ـ زاهراء الشروق

أرَجٌ .. خـاضراءُ .. زيـنـبُ : مـعـنى
لاتِّـصـالٍ مـع الحـيـاةِ تـأنّى
وهَّـج المـاءُ شـعـلتي بـخـصـيـبٍ
ودروبٍ عـلى غـيـوبـكَ تُـبـنى
فـلْتَـعِ الأمـرَ واعـيـات الـشـعـوبِ
ولـتـذقْ جِـبْرنـا بـثـغـر الـقـلوب
مسَّـنـا الـغـيـبُ بـالـشـهـادة حُـيـنى
زاهـراء الشروق هـدي الـغـروب
(١٤٠٩/٧/٥)

٧ ـ ليل

تكركر ربات البيوت أسرَّةً
سرائرها ليلُ الشموس وفجرُها
وأختدم النياتِ بالشدو والشذى
لتحضن إدريسي الجنان وطهرها

٨ ـ خطو

عروسُ ضياء
في صباحكَ يا بدر
يبش لها العصفور
والكون والبرُّ
وأحسبُ أن الدربَ
قبَّلَ خطوها
بكل عيون العالمين ..
مَنِ السرُّ ؟!

٩ ـ حضور

تزمّلُ زينبَ المعنى
الحروفُ
تدثرها الفوارس والكشوف
يمينُك أسستْ كونَ المعاني
وتُجنى من تفتحه القطوفُ
إمامَك بالنهار له حضورٌ
وحوتُ البحر تؤنسه الضيوفُ
١٤٠٩/٩/١٨